مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

مجتمع طوارق الجزائر: الخصوصيات الأنثروبولوجية والسوسيوثقافية

د. خليفي عبد القادر

جامعة محمد بوضياف/ المسيلة - الجزائر-

ملخص

تحاول هذه الورقة العلمية المتواضعة مقاربة الواقع الذي يميز المجتمع الطارقي الجزائري الذي نال نصيبا هاما من الدراسات الوصفية والتحليلية لدى الباحثين الأجانب المهتمين بالتأريخ للمجتمعات الصحراوية، غير أن حضوره في الاهتمامات البحثية المحلية لا يزال ضئيلا قياسا إلى ما يزخر به من رصيد تاريخي وثقافي واجتماعي يجعله متفردا في كثير من الخصوصيات.

ومن ثمة جاءت هذه المساهمة بغرض تحريك الجمود ورفع مستوى الاهتمامات البحثية بما يفتح نافذة تقود إلى فهم أعمق للأبعاد المختلفة المؤسسة لحياة هذا المكون الوطني.

مقدمة:

لقد بات معروفا أن التركيبة الاجتماعية الجزائرية بتنوعها السوسيوثقافي قد انصهرت على امتدادات تاريخية موغلة في القدم، عرفت خلالها امتزاجا بين الفئات المحلية الأصيلة وبعضا من تلك الوافدة إلى البلاد في حدود مقبولة من التجاذب، كما عاشت أيضا سلسلة من المواجهات الحاسمة، جسدت رفضها لفئات أخرى اخترقت الحدود وهي في كل هذا الحراك الاجتماعي التاريخي، كانت عنصر تأثير، وموضع تأثر بدرجات متفاوتة، حتى استقر واقعها على هذا النسيج القائم.

وبالقطع فإن المجتمع الطارقي يحتل موقعا متميزا هنا، فقد كان ولا يزال مجالا يجلب اهتمام الباحثين وعلماء الأنثروبولوجيا، فقد اهتم به الرحالة العرب على غرار ابن حوقل، والبكري، وابن بطوطة، والإدريسي والحسن الوزاني، كما كان محل دراسات في العصر الحديث من قبل عدد كبير من الرحالة، وعلماء الاجتماع والعسكريين، والمغامرين،والمبشرين لاسيما الأوربيون منهم، على غرار شارل دي فوكو صاحب أول قاموس فرنسي طوارقي، ودوماس، وهنري لوت، وبول باندولفي، حيث صدرت لهم كتابات تعالج خصوصيات هذه القبائل بداية من منتصف القرن التاسع عشر، و تواصلت متدفقة على امتداد القرن العشرين.

والواقع أن تلك الدراسات وعلى أهمية مضامينها، وقيمة المعطيات التوثيقية التي جاءت بها، إلا أنها عرضت الصورة التي أراد أن يقدمها الأوربي عن الآخر، وتغاضت عن الكثير من القيم والروابط التي تؤصل حياة محاربي الصحراء، كما لا يخفى على أحد أن التأريخ للمجتمعات الصحراوية على غرار مثيلاتها في المناطق الأخرى، قد استهدف خدمة الحركة التوسعية الاستعمارية، وذلك ببناء قاعدة بيانات اجتماعية لتوظيفها في استغلال وترويض هؤلاء السكان، ومن ثمة تحويلهم إلى جسر عبور للتسرب إلى قلب القارة السمراء.

ولعل من المفارقات المحيرة، أن الأكاديميين الجزائريين لم يوجهوا بعد جهودهم البحثية لفهم الأبعاد التاريخية، والأسطورية، والنفسية لهذا المكون الوطني، في الوقت الذي تعجّ فيه مكتبات باحثي الضفة الشمالية للمتوسط بتلك الدراسات، ويمكن المجازفة بالقول، أنني لم أعثر في سياق إعداد هذه الورقة العلمية على انتاجات أكاديمية جزائرية، باستثناء بعض الأعمال القليلة[1]، التي تعرضت لموضوع الطوارق ضمن اهتماماتها المتعلقة بمساهمة سكان الصحراء عموما في مسيرة الحياة الوطنية، ولذلك لم تتمكن

تلك الكتابات من تقديم صورة كاملة عن هذا المجتمع، فكان حالها كمن يسقي العطشان دون أن يروي ظمأه، أو يطعم الجائع ولا يشبعه.

تتمحور إشكالية هذه الورقة العلمية المتواضعة في محاولة الوقوف على الحدود الفاصلة بين الأسطوري والواقعي في حياة بدو الطوارق، وتقديم إجابات لجملة من التساؤلات المهمة المتفرعة عنها والتي فرضت نفسها في سياق هذه المعالجة ومنها: إلى أي مدى نجح الرجل الأزرق في المحافظة على خصوصياته في ظل الاجتياح الحضاري؟ وفيم تتمثل الصورة النمطية التي رسمت للطارقي؟ وما سر المكانة المتميزة التي حجزتها المرأة في هذا القبيل؟ وما هي حدود المنطق والخيال في تفسير ظاهرة تخفي الرجال بارتداء اللثام؟

إن تسليط الأضواء على مجتمع الطوارق بمنطقتي الهقار والطاسيلي بالجنوب الجزائري، سيساهم بلا شك في تثمين هذا الموروث الثقافي والاجتماعي الغني، ويفتح نافذة علمية على حقيقة مساهماته في الحضارة الإنسانية بما يكشف الستار عن هذا النسيج الذي لا تزال تلفه الأسرار والأساطير.

الأصل ودلالات التسمية بين المصادر المحلية والأجنبية:

يعد البحث في الأصول الاثنية للجماعات البشرية من القضايا الشائكة، والمحفوفة بالمخاطر، حيث تتداخل في تحديدها جملة من العوامل، تتغلب فيها النزعة العصبية أحيانا، ويعترضها الحاجز الأيديولوجي تارة أخرى وليس هناك من سبيل علمي دقيق لضبط هذه الأصول، حيث تظل مجرد فرضيات قابلة للمراجعة والتعديل وهذا ما ينسحب على أصل قبائل الطوارق، ولعل توزع هؤلاء على كيانات سياسية مختلفة عربية وافريقية زاد من صعوبة الخوض في هذا الباب حسب رأينا.

إن استمرار الغموض الذي يلف أصول الطوارق قضية تثير الدهشة في نظر أحد الباحثين، فهذا اللغز الذي لم يجد حلا سيكون فاكهة تاريخ هؤلاء الأقوام[2]، ولما كان ميدان اهتمام هذا البحث ليس منصبا بالدرجة الأولى على تتبع شجرة الأصل على ما ورد بشأنها من آراء ومذاهب، جعلت الرجال الزرق من منابع متباينة ساقها البعض صوب الشرق، وألقى بها آخرون ناحية الغرب، إلا أن ذلك لا يعني تجاوز هذه المسألة، وهكذا فقد رجحت العديد من الأبحاث أصولهم البربرية[3]، ومن ذلك ما ذهب إليه العلاّمة ابن خلدون من أن الطوارق ينتسبون إلى صنهاجة، نزحوا من جنوب الجزيرة العربية، وتحدث

عن كثرتهم فكتب " هذا القبيل من أوفر قبائل البربر وهو أكثر أهل المغرب لهذا العهد وما قبله، لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط ".[4]

وذكر في موضع آخر إحدى فرقهم، وقد سماها صنهاجة الملثمون " هذه الطبقة من صنهاجة هم الملثمون الموطنون بالفقر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب، أبعدوا في المجالات هنالك منذ دهور قبل الفتح، لا يعرف أولها فاصحروا عن الأرياف، ووجدوا بها المراد، وهجروا التلول وجفوها واعتاضوا عنها بألبان الأنعام ولحومها، انتباذا عن العمران، واستئناسا بالانفراد، وتوحشا بالعز عن الغلبة والقهر، وصاروا ما بين بلاد البربر والسودان، واتخذوا اللثام خطاما تميزوا بشعاره بين الأمم ".[5]

أجمل الباحث التونسي محسن التليلي في دراسته الموسومة: الإسلام البدوي: إسلام الطوارق أنموذجا، أصول هؤلاء في هذه التخريجة حيث كتب:" فالطوارق هم خليط من سكان الصحراء الإفريقية القدامى، ومن الأمازيغ البربر، امتزج عبر التاريخ بعناصر عربية من بني هلال، ومن المسلمين المرابطين، ليشكل مجموعات قبلية منسجمة، سيطرت منذ القدم على طرق التجارة الصحراوية وواحاتها إلى المرحلة التاريخية المعاصرة ".[6]

لقد ظهر أول استخدام لكلمة الطوارق tawariq للتعبير عن les touaregs في القرن التاسع عشر ووجدت في إصدار لمؤلف تمبكتي وهو م كاتي M.Kati حمل عنوان: تاريخ الفتح، حيث ذكر المصطلح باستخدام الاسم تارق، أو تارك في حالة الإفراد، والاسم توارق في حالة الجمع.[7]

كان لتسمية الطوارق على غرار أصلهم كما تقدم، تخريجات متنوعة، وقيل في تعليلها أراء كثيرة، غير أن المتفق بشأنه أن المتسمّين بها لا يطلقونها هم على أنفسهم، بل أطلقت عليهم من غيرهم من الشعوب المجاورة ولاسيما تلك التي دخلت في حالة عداء مع هؤلاء، فأطلقت عليهم التسمية سخرية بسبب الآثار المدمرة التي خلفتها الصراعات بين الطرفين،[8] ثم شاعت في الاستعمال، في حين انتقى هؤلاء اسما آخر مستعارا من تراثهم ولغتهم، هو أيموهاغ، الذي يعني النبيل.

يعتقد البعض بأن كلمة الطوارق مشتقة من اسم طارق بن زياد، وسبب اللبس أن طارقاً يعود لأصول بربرية، وبدو الطوارق بربر كذلك، وهذا هو وجه العلاقة الوحيد[9]،

غير أن هذا الربط لا يصمد عند إخضاعه لمنطق الأشياء، ويزيد من علامات الاستفهام، عوض أن يجيب عنها.

ويذهب رأي آخر، إلى أن كلمة طوارق، والتي اعتاد المهتمون كتابتها بالطاء، وكان الأولى أن تكتب بالتاء، مأخوذة من كلمة "تاركة"، وهو اسم وادي في منطقة فزان بليبيا الآن، والتي تمثل أحد أهم أماكن وجود الطوارق، والنسبة إليه تصبح عندئذ " تاركي " [10]، ومن الروايات التي ساقها حماني ديوري Hamani Diori تلك التي أشارت إلى أن كلمة توارك Tawarik أطلقت على البربر بسبب تركهم وارتدادهم عن الإسلام 12 مرة[11]،بينما ذهب أحدهم إلى القول بأن الدلالة الحقيقية لمصطلح الطوارق تعني الجن، وهي الفكرة المعروفة والمتداولة بين الايموشار والطوارق بصفة عامة وتلقى رواجا ضمن ثقافتهم.[12]

وحسب استجوابات شخصية قام بها الباحث جاك أوريكي Jacques Hureiki مع بعض الفعاليات الثقافية للطوارق على غرار محمد موبو ممثل الطريقة التيجانية بتمبكتو، فإن التسمية بالطوارق تفسر بعاملين فهم يشبهون الجنّ الليلي بفعل حركتهم الخاطفة وإغارتهم السريعة وغير المرئية على قوافل عدوّهم، كما أنهم ينادون بأبناء الجن لأن أباءهم من سلالة تلك المخلوقات، وهذا الإسقاط أكده أمينوكال أكبر قبيلة للفرسان المحاربين الذي يعتبر أن هؤلاء يتميزون بالمهارة والقوة ويستطيعون فعل أي شيء.[13]

يرى الجغرافي الفرنسي ريمون فيرون Raymond Furon ، أن ابن بطوطة هو أول من ذكر كلمة الهقار وذلك أثناء رحلته التي تمت في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، وكان منطلقها مدينة جاوGao المالية سالكا اتجاه الشمال مارا بتاكودا، حيث سار وسط صحراء جرداء خالية من الماء والنبات حتى وصل بلاد الهقار، التي قال بأنها قبيلة بربرية[14]، ويورد البعض أن اللفظة ذاتها تنسب إلى ابن الملكة تين هينان، الذي يدعى هقار، حيث أطلق اسمه على المنطقة كلها فيما بعد، كما أنه كان أول من غطى وجهه فتبعه القوم، وظلوا على تلك الحال إلى اليوم.[15]

جغرافيا الانتشار وفيزيولوجيا الإنسان:

يمثل الطوارق مجتمعا يتأرجح بين الثبات والحركة، حسب ظروف الحياة وتقلبات الطبيعة، وهذا الأمر يجعل البحث في تحديد عددهم كمن يصارع شبحا في الظلام، وفي ظل غياب إحصاءات دقيقة وموثقة، لا يمكن إعطاء رقم صحيح عن عددهم في مجموع الفضاء الجغرافي الذي ينتشرون في رحابه، وثمة تقديرات تقريبية تذهب إلى أن عددهم

الإجمالي يتجاوز الثلاثة ملايين، يتوزعون بين دول مالي والنيجر، والجزائر وبوركينا فاسو وليبيا وموريتانيا،[16] ويمكن تقسيمهم جغرافيا إلى مجموعتين رئيستين وهما:

أ- طوارق الصحراء، وهم الموجودون في الجنوب الجزائري، ومنطقة فزان بليبيا وأهم قبائلهم الهقار أو "كل أهقار"، ولفظة البادئة "كل" تعني "أهل" أو "أولاد"، وأيضاً كل آجر في صحراء الجزائر وبالتحديد بمنطقة جبال الهقار، ثم إيمنغاسن وأوراغن، وكل آجر في فزان، وسكان مدينة غدامس الليبية عند نقطة الحدود مع كل من تونس والجزائر.

ب - طوارق الساحل، وهم بالأساس قبائل كل آيير بصحراء تنيري، وكل يلمدن بمنطقة غاوة بالنيجر، وكل إيترام، وكل آدرار من إيلمدن المتونة، وكل تدمكت حوالي تومبكتو، ومنعطف نهر النيجر بمالي، وقبائل أخرى كثيرة مثل كل أنصار أي الأنصار، وكل السوق أي التجار، وكل غزاف وغيرها في منطقة أزواد وايفوغاس بجمهورية مالي[17].

يتميز الطوارق عموما بطول قاماتهم حتى يبدو بعضهم وكأنهم عمالقة حقيقيون ضعاف البنية الجسمية عصبيون، عضلاتهم كأنها نابض حديدي، بيض البشرة في مرحلة الطفولة، غير أن الشمس تغير ألوانهم مع الوقت، وجوههم تشبه الصنف القوقازي، الوجه بيضاوي طويل عند البعض ودائري عند البعض الآخر عريضي الجباه، سود العيون، لكنها عند الأشخاص الذين بلغوا سن الأربعين من العمر تظهر محجوبة ومظلمة صغار الأنف، أفواههم متوسطة، وشفاههم رقيقة، ولهم أسنان بيضاء وجميلة، يتصفون باللحى السوداء والنادرة، والشعر الأسود الناعم.[18]

يقول ألبير فارمي Albert Fermé في روايته الطارقي le touareg واصفا ملامح هذا المخلوق "واستطعت أن أميز الوسامة الأصيلة لوجهه البيضاوي، الممتد في انسجام وانتظام، كانت عيناه ذات زرقة قاتمة في تباين واضح مع لون بشرته الزيتوني، وكان الكل يوحي بالنسب النبيل"،كما تحدث ربني بوتيي René Pottier عن تفردهم فكتب" المجتمع الطارقي متفرد في لباسه ولغته وتقاليده، ونمط حياته، لا يشبهه نمط آخر في أي رقعة على وجه المعمورة ".[19]

الحياة الاجتماعية: طقوس وأعراف

عرض ابن بطوطة وصفا لمعيشتهم بالقول:" هم رحالة لا يقيمون، وبيوتهم غريبة الشكل، يقيمون أعوادا من الخشب يصنعون عليها الحصر، وفوق ذلك أعواد مشتبكة

وفوقها الجلود أو ثياب القطن، ونساؤهم أتم النساء جمالا... وطعامهم حليب البقر، وجريش الذرة، يشربونه مخلوطا بالماء غير مطبوخ عند المساء والصباح ".[20]

وفيما يخص الجانب الروحي، يعتنق الطوارق في غالبيتهم الإسلام السني وفق المذهب المالكي، ويمتازون بالليونة في الفصل بين المعتقد الديني والعرف الاجتماعي، الأمر الذي جعل نظراءهم العرب في الشمال ينظرون إليهم باستمرار من زاوية المختلف[21]، وتظهر تلك الليونة في تطبيق الشريعة الإسلامية في الكثير من محددات علاقاتهم الاجتماعية التي وصفها أحد الرحالة كالآتي" وشأن هؤلاء القوم عجيب، وأمرهم غريب، فأما رجالهم فلا غيرة لديهم، ولا ينتسب أحدهم إلى أبيه، بل ينتسب لخاله، ولا يرث الرجل إلا أبناء أخته دون بنيه، وبينهم مسلمون محافظون على الصلوات وتعلم الفقه وحفظ القرآن، وأما نساؤهم فلا يحتشمن من الرجال، ولا يحتجبن، مع مواظبتهن على الصلاة، ومن أراد التزوج منهن تزوج، ولكنهن لا يسافرن مع الزوج ولو أرادت إحداهن ذلك لمنعها أهلها ".

ويدرك الباحث من تحليل هذه الصورة المعروضة، إتباع طوارق الهقار نظاماً اجتماعياً جمع بين المحافظة على الكثير من الشعائر والقيم المرتبطة بالإسلام في شق العبادات، من دون التخلي في شق المعاملات عن الخصوصيات الثقافية المحلية على غرار النظام الأمومي.[22]

ولعل من الأمور التي ينبغي الإشارة إليها هنا ما يتعلق بالطقوس التي تصاحب الموت والدفن، فإذا كانت مراسيم الجنائز تتم تبعا لأحكام الشريعة الإسلامية من غسل وتكفين وتشييع، فإن اللافت أن الطوارق لا يبكون ميتهم، ويتفادون ذكر اسمه وكل ما يرمز إليه، ومن ذلك تجنب مناداة أبنائه باسم والدهم كأن يقال مثلا فلان بن فلان، ويعمدون إلى تغيير مقر الإقامة بعد وقت وجيز، ويفسر الرحالة الفرنسي ديفيريي Duveyrier جنوح هؤلاء إلى نسيان الميت إلى الخوف المسيطر عليهم من عودة الأرواح والأشباح، مما دفعهم إلى تفادي كل ما من شأنه أن يقود إلى تحقق ذلك الحضور.[23]

هيكلة العلاقات القبلية:

يتميز الطوارق بأنهم شعب مسافر على الدوام، حتى وصفوا بسفينة الصحراء بامتياز، غير أن ذلك لم يمنع من قيام نظام لإدارة العلاقات الاجتماعية يتشكل من ثلاثة هياكل، الأول يمثله السلطان، ويتولى هذا المنصب أقوى شيخ تتفق عليه القبائل، ويساعده في ذلك رؤساء مجموعات هذه القبائل، إذ لكل قبيلة رئيسها ويسمى منصب

السلطان في اللغة الطارقية الأمنوكال l'Amenukal ، أما الهيكل الثاني فيسمى أمغار، وهو منصب يتقلده شيخ القبيلة، ومهمته الإشراف على شؤونها، والثالث هو منصب الإمام، ويهتم بالإرشاد الديني وهذه الهياكل الثلاثة تؤلف المجلس العام عند الطوارق، الذي يرتكز عمله على التشاور في أمور السلم والحرب والتجارة.[24]

والأمينوكال، هو اسم مركب من مقطعين وهما: أمين، وتعطي معنى وزير، وأكال وتعطي معنى الوطن بلغة التاماهاك، وهذه الترجمة تبنّاها عدة باحثين، وفي العرف السائد لدى الطوارق، فإن هذه الشخصية ذات السلطة المعنوية والتي تختار بطريقة ديمقراطية بواسطة الانتخاب تمثل الضامن والمشرف على إدارة العلاقات مع الكنفدراليات الأخرى.[25]

كما يتولى حشد القبائل لمناقشة القضايا المستجدة، وإدارة مسائل الحروب والإشراف على الولاء القبلي سياسياً، وتنظيم الحياة الاقتصادية، والتدخل لفضّ النزاعات، ومساعدة الفقراء والمحتاجين، وحماية الضعفاء اجتماعياً، ويبسط سلطته الروحية الكاملة على مختلف المستويات القبلية، قراراته لا اعتراض عليها لأنّها تصدر بعد استشارة مجلس الشيوخ والأعيان الذي يتكوّن من رؤساء القبائل[26].

اللثام: ظاهرة وتفسيرات

لقد درج المؤرخون والرحالة العرب القدامى على تسمية الطوارق بالملثمين، والسبب الأساسي في ذلك، هو محافظتهم الشديدة على هذه العادة منذ فجر التاريخ، حيث يغطي الرجل رأسه بعمامة من القماش يلفها بإحكام عدة لفات، حتى لا يظهر من وجهه سوى أهداب عينيه وتلازمه باستمرار، أما الكتابات الأوربية، فقد تبنت اسم الرجل الأزرق، وأضحى مصطلحا متداولا، يرتبط بكثرة استعمال الطوارق لهذا النوع من القماش لباسا، حتى انعكس على لون بشرتهم.[27]

يمثل ارتداء اللثام عند قبائل الطوارق بمختلف مجموعاتهم المظهر العام السائد بين الذكور البالغين سن السادسة عشر، والذين يحملون السيوف أيضا، وغالبا ما يكون ذلك بمناسبة بداية صيام الشاب لشهر رمضان عند طوارق الهقار، مما يفسر مدى عمق تأثير الثقافة العربية الإسلامية في الثقافة التقليدية للطوارق.[28]

يسمى اللثام في لغة التماهاك التي يتحدثها الطوارق " التاجلموست " "Taguelmust" ، وهو عبارة عن قطعة من القماش الأزرق اللامع عند النبلاء، أو الأبيض عند الأتباع، وعادة يصل طول اللثام إلى أربعة أمتار ونصف[29]، ولقد تعددت التفاسير التي تتعلق

بتمسكهم باللثام، فذهب البعض للحديث عن شدة الحياء ومنهم الشاعر الأندلسي أبو محمد بن حامد المعروف بالكاتب، الذي مدح دولة المرابطين، وكان أمراؤها صنهاجيين بقوله:

قوم لهم درك العلا من حمير ... وان انتموا صنهاجة فهم هم

لما حووا إحراز كل فضيلة ... غلب الحياء عليهم فتلثموا.[30]

ومن الأطروحات التي عرضت تفسيرا مبسطا الطرح الخلدوني الذي اختصر المسألة في كونها مجرد عادات وتقاليد متوارثة عن الأجداد هدفها التميّز عن الشعوب الأخرى، وإذا كان هذا الطرح قد حاول تبرير الأمر، إلا أنه ترك اللغز قائما، ذلك أن الأنثروبولوجيا تنظر إلى العادة بوصفها سلوكا حاملا لتفسير معين دون الاهتمام بمدى منطقيته بحسب ما تتوقع الرؤية المقابلة[31]، كما ساق آخرون الأطروحة الايكولوجية في مسعى للفهم، حيث يرى أنصارها أنّ اللثام وسيلة وقائية ضد رياح الصحراء وزوابعها الرملية وهو ما ينفيه الباحث إسماعيل العربي، الذي يرى أن ذلك التبرير ليس صحيحا إذ لو كان كذلك لسارعت كل القبائل الصحراوية إلى تبنيه منذ أجيال طويلة[32]. كما أن الواقع يكشف لنا أن الرجل يستمر في وضع لثامه داخل فضاء خيمته ما يجعل الركون إلى المعطى الايكولوجي بلا فائدة.[33]

وتحدث أحد الباحثين الميدانيين عن قداسته الأسطورية لدى أهل الأهقار، فذكر على لسان محدثيه أن ارتداء اللثام مجلبة للبركة والرخاء، وطرحه يؤدي إلى تلوث الجو، وانتشار الجدب والفاقة[34]، ومن الفرضيات الأخرى التي ساقها بعض الرحالة والأنثروبولوجيين، حديثهم عن دوره في تيسير التخفي أثناء الحروب، بل والنظر إليه على أنه وسيلة للتصدي للأرواح الشريرة التي تتصل بنفس الإنسان عبر الفم والأنف، لكن هذا الطرح لا يشاطره كبار الأعيان في المنطقة، الذين قدموا قراءات مغايرة، تعتبر أن فم الإنسان هو الذي يحدد عفته من دنسه، لذا وجب صونه بتغطيته، ومع ذلك يظل لغز ارتداء اللثام قائما.[35]

البعد الأنثوي: الخلفية والمظهر

إن تفسير حرية المرأة الطارقية في مجتمعها التقليدي، ومكانتها المتميزة في البناء الاجتماعي لهؤلاء تحكمه بداية انتساب الطوارق إلى جدتهم تين هينان Tin Hinan ، التي نسجوا حولها أساطير وقصصا كثيرة حتى أن الأديب الفرنسي المعروف بيير بينوا Pierre

Benoit نشر سنة 1919م قصته آنتينيا Antinea التي جعلها تعيش في قصر حجري في جبال الهقار.[36]

وحسب الروايات الشفوية والمدونة، فإن تين هينان قدمت من منطقة تافيلالت بالمغرب الأقصى، وقد حكمت في القرن الخامس الميلادي، مما يعني أنها لم تعاصر مرحلة الفتوحات الإسلامية، وإليها يستند هؤلاء القوم في تنظيمهم الاجتماعي، الذي يستمد السلطة حتى الآن من حكمة تلك المرأة، التي ثبت أنها كانت تدافع عن أرضها وشعبها ضد الغزاة الآخرين من قبائل الجوار، وعرفت بالحكمة والدهاء، واستغلت جمالها أيضا لتسيطر به سياسيا على منطقة مزدهرة وقتها، وتمكنت من أن تحكم عددا كبيرا من القبائل تنحدر منها جميع قبائل الطوارق الحالية في بلدان الصحراء الكبرى الإفريقية، وتقول الروايات التاريخية بأن اسم تين هينان مركب من جزأين تين و هينان، وهي لفظة من لهجة التماهاك القديمة، وتعني بالعربية ناصبة الخيام، لذلك رجح المؤرخون أن تكون كثيرة السفر والترحال، وما زال الطوارق يحفظون صداها في ترحالهم وتجوالهم، ويحدّث بعضهم بعضا عن أسراب الغزلان كيف كانت تأمن لوجودها، وعن قطعان النوق كيف كانت تطمئن لحضورها، وهي الصفات التي جعلت سكان الأهقار ينصبونها ملكة عليهم، ولعل هذا ما يفسر سبب انتقال صفات النبل عن طريق النساء في المجتمع الطارقي كون الأطفال ينسبون لأمهاتهم، وليس لآبائهم، كما هو الشأن في المجتمعات الأخرى.[37]

إن حرية المرأة الطارقية مكفولة من طرف المجتمع في مختلف المراحل العمرية، فالطارقي لا تسيطر عليه فكرة التفوق على الجنس اللطيف قبل زواجه، كما أن موقعه لا يتغير بعد الزواج، ومن الملاحظات أن الفتاة تتمتع بجميع مزايا الشاب في المجتمعات البدوية، حيث تتلقى التكوين الذي يتوافق وبيئتها من تفصيل الملابس وترقيعها، وتقطيع شعر الماعز والجلود، وطريقة نصب الخيمة، كما تتعلم حروف التيفيناغ، وقراءة القرآن وتعاطي الشعر، ومن أهم الأشياء التي تتعلمها الفتاة من والدتها وتعتبر ذات أهمية في مجتمعها، هي مداعبة الآلات الموسيقية التقليدية.[38]

في البنية الاجتماعية لقبائل الطوارق، وعلى عكس بعض المجتمعات العربية المجاورة، تكاد تكون المرأة محور مختلف العلاقات الاجتماعية، فحريتها تعكس مدى تحرر مجتمعات المناطق الصحراوية، وتجاوزهم الفطري لخطابات المساواة بين الجنسين، التي ما تزال تغرق فيها المنطقة العربية،[39] ومما تجدر الإشارة إليه أن ترديد بعض الكتاب

الأوربيين لفكرة أن المرأة الطارقية في الهقار تهب نفسها للضيوف والأصدقاء، لا تعدو كونها أسطورة لا أساس لها من الصحة، ذلك أن قضية الشرف تحظى بمكانة بالغة الحساسية، فالعرف الساري يسمح للرجل الذي خانته زوجته بقتلها وشريكها.[40]

العلائق الأسرية تنظيم وعادات

لا يتزوج طوارق الهقار في العادة إلا في سن متأخرة، وذلك بعكس الحال عند الجماعات البدوية في البلاد العربية، إذ من النادر أن يتزوج الطارقي قبل بلوغه الثلاثين، والمرأة قبل بلوغها الخامسة والعشرين، وتتم عملية المصاهرة بالطريقة التقليدية، بحيث يتكلف أفراد أسرة الرجل وأقاربهن وفي حالات أخرى قد يتم الاستعانة بأصدقاء الأسرة للقيام بمهمة الخطبة التي تسمى ايبادراهن ibadrahen ، ومن الصيغ التي تقال حال مباشرة إجراءات طلب يد الفتاة من أهلها، أن يقول والد العريس " إنني أريد خيمة وحصير لولدي وهي عبارة متداولة ذات دلالة معروفة عند أهل المنطقة، أما عن مسألة المهور فهي خاضعة للمفاوضة حسب العرف السائد لدى كل قبيلة، أي ليس هناك تحديد للمهور، فقد يرتفع إلى حدود سبعة نياق للفتاة النبيلة المسماة " الكل غلا " وفي حدود ثلاثة نياق للفتاة المنتمية لفئة الأتباع المعروفة بـ" الدج غالي " ، وتستقر عند ناقة واحدة وبعض رؤوس الماشية للفتاة من باقي قبائل الأمراد.[41]

أما مراسيم الزواج فتتم في بيت أهل الزوجة، التي تقيم لفترة معينة تتراوح حسب الحالات بين سنة إلى خمس سنوات، تقوم خلالها بتجهيز نفسها، وإعداد الأثاث الخاص بها، مع الإشارة إلى أنه خلال هذه الفترة يتردد عليها الزوج من حين لآخر، لكنه لا يقيم معها، ويفسر الطوارق ضرورة وجود هذه المدة بأنها مهمة لتعرف الشريكين على بعضهما البعض، واكتشاف طباعهما وتلمس المسؤولية العائلية، ولعل من المميزات الأسرية، أن ظاهرة تعدد الزوجات نادرة جدا رغم إدراك هؤلاء أن الإسلام يبيح هذا الأمر، ومع ذلك فإن الشروط التي يجري التنصيص عليها قبل الزواج، تركز على مطالبة الخاطب بعدم التعدد، والإقامة في منطقة الهقار.[42]

ومن الجوانب المنظمة للحياة الأسرية في مجتمع الطوارق التقليدي، أنه يمكن لرئيس القبيلة أن يأمر أفراد قبيلته بتحديد عدد المواليد أو بزيادة ذلك، تبعا لتناقص أو نمو الموارد الطبيعية، وبحسب قراءات الأفق المستقبلي بل ويرى البعض أنه بإمكان رئيس

القبيلة أن يأمر بإيقاف الإنجاب تماما، وهنا تبرز دينامية الجماعة، ومدى نفوذها على الأفراد حيث يصل الأمر إلى تحكمها في تنظيم الأسرة.

وفي منطقة مثل الهقار حيث صعوبة العيش طاغية، وضآلة الحاجيات الغذائية أمر مفروغ منه، كان لزاما على الطوارق اللجوء إلى عملية تنظيم النسل، لضمان العدد الأمثل من السكان بغية إحداث التوازن الايكولوجي.[43]

ومن الظواهر الأسرية التي تستوقف الباحث ما يتعلق باختيار أسماء المواليد، حيث تمتاز بالغرابة، ويرى الأنثروبولجي الفرنسي هنري لوت H.lhote أن عادات الطوارق في تسمية الأطفال تشبه عادات الهنود الحمر الذين يعتقدون في كثير من المظاهر والحوادث الطبيعية التي ترافق ازدياد المولود، فكثيرا من أطفال الطوارق يسمون بأسماء لمظاهر طبيعية أو لحيوانات، فإذا صادف ميلاد طفلة سقوط البرد فإنها تسمى " تيديجريس" أي البرد، وإن مرّ حيوان في لحظة الميلاد، فإن الطفلة تدعى باسمه مثل تاهينكات، أي الغزال، أو أنابة أي النمر، أو أكوتي أي الجربوع، إلى غير ذلك من الأسماء التي كانت منتشرة بشكل واضح في الثقافة التقليدية للطوارق لكن المجتمع الطارقي وتحت تأثير الثقافة العربية الإسلامية، عرف تزايد استخدام الأسماء العربية مثل الصديق ولد المصطفى، وأحمد ولد محمد، وأحمد باه ولد أحمد وغيرها.[44]

الفعل الثقافي في نشاط الطوارق:

لسان الطوارق: يعتقد عديد الكتاب أن لغة الطوارق هي التاماشاك، كل تماشق kel temasheq وهي لهجة بربرية ويعني الحرف كل kel أهل أو أولاد، وهنا في تركيبة كل تماشق تفيد الأشخاص الذين يتكلمون اللهجة التاماشاقية ونجد لفظة "كل" موجودة في مصطلح كل أهقار بمعنى أهل الهقار.[45]

ترجع لغة هذا القبيل بتخريجاتها اللفظية المتنوعة حسب مقتضيات النطق في المناطق المختلفة لتمركز الطوارق، إلى اللغة الحامية القديمة، التي تتصل باللغات السامية، ومعروف أن موجة انتشار الأخيرة كانت من شبه الجزيرة العربية إلى بلاد ما بين النهرين، ثم إلى الشام، فالحبشة، ثم إلى شمال إفريقيا[46]، وحروف هذه اللغة تسمى التيفيناغ le Tifinagh، ويمكن كتابة هذا الخط حسب الرغبة في جميع الاتجاهات، فقد يأتي أفقيا وعموديا، ومن اليمين إلى اليسار، ومن اليسار إلى اليمين، ومن أعلى إلى أسفل،

ومن أسفل إلى أعلى، غير أن الملاحظ أن الصيغة العربية أو العبرية لكتابة الحروف، أي ذات الاتجاه من اليمين إلى اليسار هي الأكثر استخداما.[47]

ويسود رأي لدى عدد من الباحثين أن الأبجدية المسماة التيفيناغ قد تم استعارتها من الأبجدية الفينيقية وهي تحتوي على 22 حرفا، وتضع بعض قبائل الطوارق علامة + على رقاب الإبل كتسمية لها، وهي ترمز إلى الحرف الأول من لفظة الطوارق.[48]

وفي ظل غياب الكتاب المؤلف بهذه الأبجدية فيما يبدو، تبقى التعابير التي تستخدم تلك الحروف منتشرة في الرسومات الصخرية، وعلى الأسلحة كالسيوف والخناجر، والدروع، وفي الحلي والأساور، والآلات الموسيقية، والأحزمة الجلدية، ومطرزات على الملابس.[49]

الإنتاجات الفنية بين المتعة وإثبات الذات:

تعد الصناعة الثقافية بشواهدها مرآة عاكسة للوعاء الذي ولدت فيه، ولما كانت البيئة الطارقية بيئة متحركة فرضتها نمطية العيش القائمة على الترحال لضمان أسباب البقاء، فانعكس ذلك في أشكال التعبير الفنية والأدبية، حيث نحت لنا الرجل الأزرق لوحات راقية تعرض خيمته وما يحيط بها، وترسم لباسه وعباءته وتتجلى في شعره، وألحانه، وأساطيره وكلّ ما يتنقل معه دوماً، ويصلح للتوارث الاجتماعي.

ويبدو أن مقولة آثاره تحدثك عن أخباره لها حضورها هنا، فرغم الترحال فقد ترك الطارقي معالم تذكّره وترشده وسط الصحراء، بل وتؤرّخ لوجوده الحضاري والاجتماعي، ففي منطقة التاسيلي رسومات ونقوش على واجهات الصخور والكهوف تعود إلى حوالي 900 سنة قبل الميلاد، استعملت فيها آلات غاية في الدقّة، ومواد كيماوية ذات ألوان زاهية ما تزال إلى اليوم شاخصة رغم عوامل الطبيعة، فنحن أمام فنّان من الطراز العالي لا مجرد عابث بخربشات عابرة.[50]

يعد من دواعي الحتمية، أن يمارس الطوارق أنواعا من النشاطات الثقافية الأصيلة ضمن عاداتهم وتقاليدهم العريقة، التي تشكل رصيدا هائلا من الأدب الشفوي، والفنون الشعبية ويعتبر الأداء الفلكلوري لدى هؤلاء صورة من هذا الثراء الفني.

والمعروف أن التراث الأدبي البربري قد حافظ وعلى مدار قرون على غناه وأصالته، وفي هذا الصدد تمكن الطوارق من نقل آثارهم إلى الأجيال اللاحقة، وتعد الأحجية بامتياز الوجه العاكس للوحدة اللغوية والثقافية للطوارق، وتشكل نوعا من التقاليد الشفوية

الغنية لدى كل أهقار الرعاة الرحل في الصحراء الجزائرية[51]، ويذهب الباحث دومينيك كازاجيس Dominique Casajus إلى أن غالبية القصص الطارقية تعالج علاقات القرابة، كما أنها تنقل هذه العلاقات باصطلاحات رمزية.[52]

وتتفق الكثير من الدراسات، على أن العلاقة بين الطارقي والغناء والموسيقى والشعر أكثر من حميمية فهي علاج يخفف عنه ضغط البيئة التي يتواجد فيها، وقد أبدع هذا الكائن المتميز في إنتاج آلات، وطبوع موسيقية خاصة، و عرف بعشقه الرقص، فهو يرقص إذا فرح، ويرقص إذا غضب، ويعالج مرضاه بالموسيقى والرقص، بل واختار للحرب طقوسها الراقصة أيضا، وسنقف هنا متأملين حضور واحدة من أشهر الآلات الطربية التي بلغت العالمية وهي الإمزاد[53] ، التي تعتبر آلة موسيقية مقدسة عند طوارق الهقار، وهي تشبه العود العربي، أو الكمنجة الأوربية، مصنوعة بوسائل تقليدية محلية من خشب وجلود الحيوانات وشعر الماعز تعزفها النساء، ولا يلمسها الرجال، وغالبا ما تعزف ليلا، وهي شديدة التأثير في الأذن الطارقية، ويشير أحد الباحثين إلى أن أمزاد وجدت أيضا للمحافظة على عذرية العلاقات العاطفية ونقاوتها، ولهذا يحضر سهراتها الممتعة أكثر الرجال شخصية وفكرا، حتى قيل أن الرجل الذي يستمع إلى أمزاد، لن يقرب ما يحط من كرامته أو ينتقص من خلقه.[54]

إن الطارقي شديد التمسك بالإمزاد، وشديد التأثر به، لدرجة أنه لا يرضى أن يقطع عليه أحد متعة الاستماع، " فحينما ينطق الإمزاد يقل الكلام، ويدنو البعيد، ويسبح الطارقي في بحور من النشوة والتأمل".[55]

الخاتمة:

يمكننا في ختام هذه الورقة المقتضبة أن نشير إلى جملة النتائج التي توصلنا إليها على النحو الآتي:

- أن المجتمع الطارقي ظل يتأرجح بين الانعزال والانفتاح على المؤثرات الحضارية الحديثة، وأنه بالرغم من اكراهات التمدن، فقد تمكن من المحافظة على الكثير من موروثاته وقيمه العريقة، بما أبقى بيئته مجالا بكرا للاستكشاف الإنساني والأثري.
- تعكس العلائق الاجتماعية ولاسيما الحظوة والمكانة التي تحتلها المرأة تجاوز الطوارق لموضوع حرية الجنس اللطيف، وهي المسألة التي لا تزال تثير النقاشات لدى محيطهم القريب.
- ثراء وتنوع الموروث الثقافي الطارقي بشواهده المادية واللامادية، وهو ما عكسته الإبداعات الفنية والنقوش الصخرية التي جسدت تناغم هذا الإنسان مع وسطه الصحراوي الطارد الذي لم يتمكن من التعايش معه وحسب، بل حوله إلى فضاء يعج باللمسات الجمالية التي حازت إعجاب المهتمين.
- وإذا كان هذا المكون الاجتماعي لم يحظ بعد بالعناية الأكاديمية الجزائرية المطلوبة، فإنه بلا ريب قد حجز مكانته في قلوب عامة الجزائريين، ففي هذا الصدد لا يفوتني التوقف عند مشهد جذب انتباهي منذ سنوات، ويتعلق بقيام أعداد معتبرة من أصحاب السيارات والشاحنات بتعليق صور تشكيلية تجسد الرجل الأزرق أو الملثم على هياكل المركبات، وهي الظاهرة التي ما فتئت تتزايد، مما دفعني إلى طرح السؤال على البعض منهم عن مغزى سلوكهم هذا، فجاءت ردودهم جميعا تؤكد اعتزازهم بهذا الفصيل، بما يسقط تلك الأفكار التي تحاول عبثا خلق تنافر اجتماعي، وتسعى لتسميم العلاقة القوية التي تربط بين كل أطياف الشعب الجزائري، حتى وإن كانت تلك العلاقة لا تزال تتأثر بعض العقليات التي لم تتخلص بعد من كل فيروسات العصبية.
- أن هذا المكنون الاجتماعي والثقافي الوطني الثري، كان وسيظل بكل تأكيد مصدر الهام لا ينضب للباحثين في حقول المعرفة الإنسانية، ومن ثمة فهو يحتاج إلى جهود كبيرة للإحاطة بأسراره، وتجندا لحفظ تراثه الشفوي الذي يواجه خطر الاندثار.

قائمة المصادر والمراجع:

[1] - من هذه الدراسات نذكر العمل الرائد للباحث الاجتماعي محمد السويدي" بدو الطوارق بين الثبات والتغير"، والذي كان لنا مفتاحا للخوض في هذا الموضوع، وأيضا المحاولة العلمية لعبد السلام بوشارب" الهقار أمجاد وأنجاد"، علاوة على بعض الأعمال الأكاديمية التي نشر بعضها في الأعوام القريبة، وتتمثل في رسائل الماجستير الآتية:

- تجليات الأسطورة لدى مجتمع الطوارق، للباحث على بوشيخي.
- الطوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية، للباحث حسن مرموري، والتي لم نتمكن من الاطلاع عليها.
- Touaregs de L'adagh des Ifoughas, par Badi Dida
- صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن التاسع عشر من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين، للباحث أحسن دوّاس.

[2] -Jacques Hureiki. Essai sur les origines des touaregs herméneutique culturelle des touaregs de la région de tombouctou, karthala Editions,2003,p13.

[3] - Capitaine Aymard, Les Touareg, Librairie Hachette et Cne , Paris, 1911, p 01.

[4] - عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر بيت الأفكار الدولية، المؤتمن للتوزيع، الرياض، د. ت، ص 1629.

[5] - المصدر نفسه، ص 1644.

[6] - جهاد فاضل، "الإسلام البدوي..إسلام الطوارق أنموذجا"، موقع/ /pages/5d5260b1 www.raya.com/news، تاريخ التصفح 2014/05/28م.

[7] - Jacques Hureiki , Op.Cit,p 65.

[8] -Ibid ,p 69.

[9] - سعيد الشهري، "الطوارق في الصحراء الإفريقية الكبرى"، جريدة الرياض الالكترونية، العدد 12978، 02 جانفي 2004م.

[10] - سيدي أحمد ولد أحمد سالم، "الطوارق أو الرجال الزرق،" موقع:
www.aljazeera.net/specialfiles/pages/974580fd، تاريخ التصفح 2014/05/25م.

[11] - Maman Saley, " Le cas du Niger : les touareg du passé au futur ", revue Civilisations institut de sociologie de l'université libre de Bruxelles, avril 1996, p 69.

[12] -Jacques Hureiki ,Op.Cit,p 69

[13] -Ibid,p 60.

[14] - محمد السويدي، بدو الطوارق بين الثبات والتغير، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 73.

[15] - عبد اللطيف هسوف، "تاريخ الأمازيغ المنسي"، موقع:www.ahewar.org، تاريخ التصفح 2014/04/15م.

[16] - Maman Saley, Op.Cit, p 68.

[17]- سعيد الشهري، الموقع الالكتروني السابق.

[18] - Henri Duveyrier, Les Touergs du nord : Exploration du sahara, Paris, 1864, pp 381-382.

[19] - أحسن دوّاس، صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن التاسع عشر من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين، مقاربة سوسيو ثقافية، مذكرة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008م، ص ص 56-57.

[20] - إبن بطوطة، رحلة إبن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق محمد عبد المنعم العريان، ج1، ط1، دار إحياء العلوم بيروت، 1987، ص 709.

[21]- أدب الطوارق: الأسود لا يليق بتينهينان، مجلة الدوحة، العدد 64، فيفري 2013م – ينظر أيضا: صحيفة الرياض الالكترونية، العدد 15780 07 سبتمبر 2011م.

[22] - جهاد فاضل، الموقع الالكتروني السابق.

[23] - أحسن دوّاس، المرجع السابق، ص 128.

[24] - حاتم التليلي محمودي، "الطوارق بين البدائية واكراهات الحضارة"، موقع : www.afrigatenews.net/content، تاريخ التصفح 2014/05/22م.

[25] - Paul Pandolfi, les Touaregs de l'ahaggar,sahara algérien :parenté et résidence chez les Dag-Ghali,karthala Editions,1998,pp 48-52.

[26] - عبد العزيز خواجة، "البدو التوارق جدلية الإنسان والطبيعة ملامسة سوسيو - أنثروبولوجية" ، مجلة الحداثة، العددان 139-140، بيروت لبنان، خريف 2011. نقلا عن موقع : www.fac.univ-ghardaia.dz/khouadja، تاريخ التصفح 2017/01/20م.

[27] - موقع www.al-fadjr.com/ar/realite/269490.ht ، تاريخ التصفح 2015/06/20م.

[28] - محمد السويدي، المرجع السابق، ص 235.

[29] - سيدي أحمد ولد أحمد سالم، الموقع الالكتروني السابق.

[30] - أحمد ولد نافع، "صحراء الملثمين"، موقع: www.aljazeera.net/knowledgegate/books/2007/6/11، تاريخ التصفح 2016/08/11م.

[31] - عبد العزيز خواجة، الموقع الالكتروني السابق.

[32] - إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، سلسلة الدراسات الكبرى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 175.

[33] - عبد العزيز خواجة، الموقع السابق.

[34] - على بوشيخي، تجليات الأسطورة عند طوارق الأهقار دراسة سوسيو – أنثروبولوجية، مذكرة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2005- 2006م، ص 82.

[35] - محمد السويدي، المرجع السابق، ص 237.

[36] - المرجع نفسه، ص ص 96-97.

[37]- عاشور سرقمة، تاريخ الثقافة والحياة الاجتماعية في الصحراء الكبرى: الصحراء الجزائرية نموذجا، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 15، 2011، ص ص 192-193.

[38] - محمد السويدي، المرجع السابق، ص ص 96-97. ينظر أيضا: صحيفة الرياض الالكترونية، العدد 15780، 07 سبتمبر 2011م.

[39] - أدب الطوارق.. الأسود لا يليق بتينهينان، المرجع السابق.

[40] - إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 177.

[41] - محمد السويدي، المرجع السابق، ص ص 99-100.

[42] - نفسه، ص ص 100-101.

[43] - نفسه، ص ص 98-99.

[44]- نفسه، ص 102.

[45] - Jacques Hureiki ,Op.Cit, pp 53 -54.

[46] - على بوشيخي، المرجع السابق، ص 43

[47] - Henri Duveyrier, Op.Cit, p 389.

[48] - على بوشيخي، المرجع السابق، ص 43.

[49] - Henri Duveyrier, Op.Cit, p 389.

[50] - عبد العزيز خواجة، الموقع الالكتروني السابق.

[51] -Ourida Nemmiche , " les contes touergs thèmes et énonciations ",acte du colloque :quel avenir pour l'anthropologie en Algérie?, Timimoun, 22-23-24 novembre 1999, Edition crasc, Oran,2002, p 153.

[52] -Ibid,p 153

[53] - تثمينا لهذا النمط الموسيقي أدرجت في أوائل شهر ديسمبر عام 2013م منظمة الأمم المتحدة للثقافة والتربية والعلوم UNESCO "الإمزاد" ضمن القائمة التمثيلية للتراث الثقافي اللامادي للإنسانية، بعد أن قدمت لها الجزائر بمعية دولتي النيجر ومالي ملفا بهذا الخصوص، ويشمل التراث اللامادي، الممارسات والتعبيرات والمعارف والمهارات والآلات والفضاءات الثقافية التابعة لها، والتي تعترف بها المجتمعات كجزء من تراثها الثقافي. للمزيد ينظر موقع المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم: www.unesco.org/new/ar

[54] - مولود فرتوني، "دراسة عن الموسيقى والشعر عند المجتمع التارقي"، موقع:www.aswat-elchamal.com/ar/19981 ، تاريخ التصفح 2015/06/20م

[55] - على بوشيخي، المرجع السابق، ص 92.